نحو قراءة جديدة للتاريخ

نحو قراءة جديدة للتاريخ

ظاهرة الافتراء على الشيعة

عبر التاريخ

تأليف

العلاّمة المحقّق

آية الله جعفر السبحاني

بسم الله الرحمن الرحيم

قراءة التاريخ من جديد

قراءة التاريخ من جديد

التاريخ صحيفة كبيرة مفتوحة أمام صحيفة المستقبل المطويَّة، ولكن بإمكان الباحث المتتبع أن يفتح القسم المطويّ انطلاقاً من القسم المفتوح، فيحدِّد معالمَ مسيرة المستقبل على ضوء الماضي، كي يعتبر بها ويتَّخذها نبراساً مضيئاً للحياة.

غير انّ هذه المسيرة ليست معبَّدة، بل لاتخلو من موانع وعراقيل تحول بين الباحث و الوصول إلى الحقيقة، وما ذلك إلاّ لانّ التاريخ لم يدوَّن بقلم نزيه عن الدسّ والوضع، بعيداً عن الأغراض والمصالح الشخصية والفئوية، وبعيداً عن التزلُّف إلى أصحاب السلطة والشوكة.

وآية ذلك انّ الإمام محمد بن جرير الطبري (٢٢٨ـ ٣١٠) أحد كبار المؤرخين في القرن الثالث قد اعتمد في سرد وقائع تاريخ الخلفاء على روايات يرويها عن:

١. السريّ.

٢. شعيب بن إبراهيم الأسدي الكوفي.

٣. سيف بن عمر التميمي الكوفي.

فالأوّل منهم مشترك بين اثنين عرفا بالكذب والوضع.

والثاني مجهول لا يعرف حاله.

والثالث عرّفه أئمة الجرح والتعديل بانّه ضعيف، متروك، ساقط، وضاع،متّهم بالزندقة. فما شأن تاريخ يرويه وضاع، عن مجهول، عن متّهم بالزندقة و يا للأسف فقد نقل شيخ التاريخ، الطبري عنهم سبعمائة رواية، و رواية واحدة، استغرقت بيان حوادث ١١ـ ٣٧ من الهجرة فحسبها المتأخرون حقائق فاستندوا إليها في كتبهم و رسائلهم دون تمحيص أو تدقيق.

والتاريخ يعجّ بهذه الموضوعات والمكذوبات على لسان النبي وصلحاء الأُمّة، يقف عليها من سبر التاريخ بتجرد وموضوعية، فكم من صالح بخس التاريخ حقَّه، واتّهمه بالزيغ والضلال، و كم من طالح سفك دماء الأبرياء والأتقياء ألبسه التاريخ ثوبَ الزهد والتقى.

من هنا تتأكّد المسؤولية في إعادة قراءة التاريخ على ضوء القواعد العلمية المتفق عليها، بعيداً عن النزوع إلى العواطف والأهواء والآراء المسبقة، بغية فرز الحقائق عن الأوهام، و هذا ما نعبِّر عنه بقراءة التاريخ من جديد، وهذا ما نقترحه، آملين أن يقيض الله رجالاً أحراراً لا يبتغون غير الحقيقة هدفاً.

و أخيراً، ولأجل أن تقترن الدعوة بالعمل نقدم إلى القراء الكرام سلسلة من البحوث التاريخية لتكون نموذجاً لما دعونا إليه، وليس ما قمنا به إلاّ خطوة متواضعة في هذا السبيل.

والله هو الهادي

جعفر السبحاني
(عليه السلام) مؤسسة الإمام الصادق

١

الافتراء على الشيعة وأكابرهم

إنّ الكذب والافتراء من الكبائر الموبقة التي نهى عنها الكتاب والسنّة، والموضوع من الوضوح بمكان غنيّ عن الاستشهاد عليه ب آية أو رواية. وقد بلغ قبح الكذب إلى حدّ لا يجتمع مع الإيمان . قال علي(عليه السلام): «جانبُوا الكذب فانّه مجانب للإيمان».[١]

وقد سار العقل جنباً إلى جنب الشرع في التأكيد على ذم الظاهرة المذكورة والتنديد بها، وتقبيح فاعلها على نحو لا يختلف فيه اثنان.

وأوّل من افتُري عليه، هو رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) حتّى بلغ

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٨٦.

به الحال أن أرتقي المنبر وخاطب جموع المسلمين بقوله: «من كذّب عليَّ متعمّداً فليتبوّأ مقعده من النار».[1]

ولم يقتصر هذا الافتراء على رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، بل تعدّاه إلى أهل بيته الطيّبين الطاهرين(عليهم السلام)الذين أُثِر عنهم الروايات التالية:

١. روى زياد بن أبي الجلال قال: اختلف أصحابنا في أحاديث جابر الجعفي فقلت: أنا أسأل أبا عبد اللّه (عليه السلام)، فلمّا دخلت، ابتدأني، فقال: «رحم اللّه جابر الجعفي كان يصدق علينا، لعن اللّه المغيرة بن سعيد كان يكذب علينا».[2]

٢. روى عيسى بن أبي منصور وأبو أسامة ويعقوب الأحمر، قالوا: كنّا جلوساً عند أبي عبد اللّه(عليه السلام) ، فدخل زرارة بن أعين فقال له: إنّ الحكم بن عتيبة روى عن أبيك أنّه قال له: صلّ المغرب دون المزدلفة؟ فقال له أبو عبد اللّه (عليه السلام):

---

١. نهج البلاغة، الخطبة ٢١٠، وغيره من المصادر المتوفرة.
٢. رجال الكشي: ١٦٩، رقم الترجمة: ٧٨.

«بأيمان ثلاثة ما قال أبي هذا قط، كذب الحكم بن عتيبة على أبي».[1]

ثمّ إنّ خصوم أئمّة أهل البيت ومناوئيهم لم يقتصروا في الكذب على آل الرسول، بل عمّ أيضاً شيعتهم، فافتروا عليهم ـ وكأنّهم ـ يتقرّبون بذلك إلى اللّه سبحانه.

ولأجل إيقاف القارئ على نماذج ممّا افتروا به على الشيعة نأتي أوّلاً بما افتروا به على بطل من أبطالهم في حقل الكلام والمناظرة، ثمّ نأتي ببعض ما افتروا به على الشيعة جمعاء ثانياً.

الافتراء على هشام بن الحكم

هل تعلم مَنْ هو هشام بن الحكم، وما مكانته عند المتكلّمين والفلاسفة؟! هذا هو ابن النديم يعرّفه بقوله:

هو من متكلّمي الشيعة الإمامية وبطانتهم، وممّن دعا

---

١. رجال الكشي: ١٨٢، رقم الترجمة ٨٥.

له الصادق (عليه السلام) وقال: «أقول ما قال رسول اللّه لحسّان : لا تزال مؤيَّداً بروح القدس ما نصرتنا بلسانك» وهو الذي فتقَ الكلام في الإمامة، وهذّب المذهب وسهّل طريق الحجاج إليه، وكان حاذقاً بصناعة الكلام، حاضر الجواب.[1]

ولأجل مكانة الرجل في الكلام وبراعته في الحجاج يقول أحمد أمين في حقّه : أكبر شخصية شيعية في الكلام وكان جدّاً قوي الحجة، ناظر المعتزلة وناظروه، ونُقلتْ له في كتب الأدب مناظرات كثيرة متفرقة تدلّ على حضور بديهته وقوة حججه.

وقد أفرد العلاّمة الشيخ عبد اللّه نعمة كتاباً في سيرة هشام بن الحكم، فقد أغرق نزعاً في التحقيق وأغنانا عن كلّ بحث وتنقيب.

ومع هذا نرى أنّ ابن حزم ينقل عنه ويقول: قال جمهور متكلّمي الرافضة كهشام بن الحكم الكوفي وتلميذه أبي علي

---

١. فهرست ابن النديم: ٢٥٧.

الصكاك وغيرهما يقول: إنّ علم اللّه تعالى محدث، وانّه لم يكن يعلم شيئاً حتّى أحدث لنفسه علماً، وهذا كفر صريح، وقد قال هشام هذا في عين مناظرته لأبي الهذيل العلاف انّ ربه سبعة أشبار بشِبْر نفسه، و هذا كفر صريح.[1]

وليس ابن حزم وحيداً في اختلاق هذه الفرية، بل سبقه ابن قتيبة في «مختلف الحديث»[2]، والخيّاط في«الانتصار»[3]وهما عدوّان لدودان لهشام بن الحكم لا يُعتمد عليهما فيما ينقلان عنه.

وقد دافع الشريف المرتضى في كتاب الشافي عن هشام بن الحكم بما لا مزيد عليه، فمن أراد فليرجع إليه.[4]

وقد تبعهم الشهرستاني في «الملل والنحل» ونسب إلى هشام بن الحكم مالا يتفوّه به من له أدنى علم وذكاء، حيث

---

١. الفصل: ١٨٢/٤.
٢. تأويل مختلف الحديث: ٦٨.
٣. الانتصار: ٣٦.
٤. الشافي في الإمامة: ٨٣/١.

قال: قال هشام بن الحكم متكلّم الشيعة: إنّ اللّه جسم ذو أبعاض في سبعة أشبار بشبر نفسه في مكان مخصوص وجهة مخصوصة.[1]

وقال في موضع آخر: إنّ اللّه على صورة إنسان ، أعلاه مجوّف، وأسفله مصمّت، وهو نور ساطع يتلألأ، وله حواسُ خمس، ويد ورجل وأنف وأذن وعين، وفم، وله وفرة سوداء، وهو نور أسود لكنّه ليس بلحم ولا دم، وانّ هشاماً هذا أجاز المعصية على الأنبياء مع قوله بعصمة الأئمّة.[2]

كيف يرمون هشام بهذه التُهم وقد أفرد هو كتاباً باسم الدلالة على حدوث الأجسام، وكتاباً آخر أسماه «الرد على الزنادقة»، وكتاباً ثالثاً هو «الرد على أصحاب الطبائع»، ورابعاً في الرد على ارسطاطاليس في التوحيد، إلى آخر ما ذكره النجاشي في ترجمة الرجل.[3] أفيصح في ميزان العقل من له هذه الثقافة، أن يتفوه بهذه السفاسف؟!كلاّ لا.

---

١. الملل والنحل: ١٦٥/١.
٢. همان.
٣. النجاشي: الرجال: ٣٩٧/٢ برقم ١١٦٥.

قال العلاّمة الأميني ـ بعد ذكر نماذج من الآراء المختلقة والأكاذيب عن كتاب الملل والنحل ـ: هذه عقائد باطلة، عزاها إلى رجالات الشيعة المقتصين أثر أئمتهم(عليهم السلام) اقتصاصَ الظل لذيه، فلا يعتنقون عقيدة، ولا ينشرون تعليماً، ولا يبثون حكماً، ولا يرون رأياً إلاّ و من ساداتهم الأئمة على ذلك برهنة دامغة، أو بيان شاف، أو فتوى سديدة أو نظر ثاقب.

على أنّ أحاديث هؤلاء كلّهم في العقائد والأحكام والمعارف الإلهية مبثوثة في كتب الشيعة تتداولها الأيدي، وتشخص إليها الأبصار، وتهشّ إليها الأفئدة فهي وما نسب إليهم من الأقاويل على طرفي نقيض وهاتيك كتبهم وآثارهم الخالدة لا ترتبط بشيء من هذه المقالات بل إنّما هي تدحرها وتضادها بألسنة حداد.[1]

قد تقدّم إنّ الافتراء على الشيعة جمعاء يتجلّى

---

١. الغدير: ٢٠٥/٣.

بصورتين، فتارة تتوجه سهام الاتّهام إلى شخص، وأُخرى تكون الشيعة عامّتهم في معرض التهم والافتراءات.

فتجد نماذج من هذه الافتراءات في: كتاب «العقد الفريد» لابن عبد ربّه، و«الانتصار» للخيّاط،و «الفرق بين الفرق»للبغدادي، و «منهاج السنة» لابن تيمية، و«البداية والنهاية» لابن كثير، و«المحاضرات» للخضري المصري، و«السنّة والشيعة» للسيد محمد رشيد رضا، و«الصراع بين الإسلام والوثنية» للقصيمي، و«فجر الإسلام» لأحمد أمين،و«جولة في ربوع الشرق» محمد ثابت المصري، وأخيراً «الوشيعة في عقائد الشيعة» لموسى جار اللّه.

وأمّا الجُدَد الذين أخذوا يكتبون حول الشيعة وعقائدهم لا سيّما بعد انتصار الثورة الإسلامية في إيران فكثيرون، ونالت كثير من أُطروحاتهم رُتَب الشرف وما هذا إلاّ لانّ فيها تحاملاً واضحاً على الشيعة وعقائدهم.

فهذا هو ناصر القفاري ألّف كتاباً باسم «أُصول مذهب الشيعة الإمامية»، والكتاب رسالة تقدّم بها المؤلّف

لنيل درجة الدكتوراه في قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة لجامعة محمد بن سعود الإسلامية، وقد أُجيزت هذه الرسالة بمرتبة الشرف الأُولى مع التوفير بطبعها و تبادلها بين الجامعات .

ويكفي في كونه علبة للسفاسف والخزايا التي يندى لها جبين الإنسان ما يذكره في حقّ السيد الخميني(قدس سره) و يقول: إنّ الخميني أدخل اسمه في أذان الصلاة وقدّمه على الشهادتين.[1]

نحن لا نعلّق عليه شيئاً، فإنّ العيان لا يحتاج إلى البيان، هذا أذان الشيعة يذاع من آلاف الم آذن في المحافظات والمدن والإذاعات الإيرانيّة ليس فيه أثر من هذه الفرية، والسيد الخميني كان إنساناً مثالياً أفنى عمره في الذب عن حياض الإسلام، وهو أجل وأرفع من أن يأمر بالإتيان باسمه في الأذان؟!

---

١. أُصول مذهب الشيعة الإمامية: ١١٥٤/٣.

الأكاذيب المفتعلة لابن تيمية

وها نحن نذكر هنا لمة من الأكاذيب المفتعلة لابن تيمية ممّا نسبها إلى الشيعة، نذكرها من دون أيّ تعليق، لأنّ بطلانها من الوضوح أغنانا عن إفاضة الكلام في نقدها.

١. يقول: من حماقات الشيعة انّهم يكرهون التكلم بلفظ العشرة أو فعل شيء يكون عشرة، حتّى في البناء لا يبنون على عشرة أعمدة ولا بعشرة جذوع و نحو ذلك لبغضهم العشرة المبشرة إلا عليّ بن أبي طالب، و من العجب انّهم يوالون لفظ التسعة وهم يبغضون التسعة من العشرة.[1]

٢. يقول: من حماقاتهم اتّخاذهم نعجة وقد تكون نعجة حمراء لكون عائشة تسمّى حميراء، ويجعلونها عائشة، ويعذبونها بنتف شعرها وغير ذلك، ويرون أنّ ذلك عقوبة لعائشة.[٢]

٣. واتّخاذهم حيساً مملوء سمناً ثمّ يشقون بطنه فيخرجون السمن فيشربونه، ويقولون هذا مثل ضرب عمر و

---

١. لاحظ منهاج السنة: ١١/١ و ٢٤ ـ ٣٠ والجزء: ١٤٥/٢.
٢. همان.

شرب دمه.[١]

٤. قال: وتارة يكتبون أسماءهم على أسفل أرجلهم، حتّى أنّ بعض الولاة جعل يضرب رِجْلَ من فعل ذلك، ويقول: إنّما ضربت أبا بكر وعمر، ولا أزال أضربهما حتّى أعدمهما.

٦. ومنهم [٢] من يسمّي كلابه باسم أبي بكر و عمر و ى لعنهما.[٣]

إلى غير ذلك من الخزايات والحماقات التي نسبها إلى الشيعة وهم براء منه براءة يوسف عمّا اتّهم.

وأنت لا تجد على أديم الأرض إنساناً عاقلاً يحمل روح التشيع ويقوم بواحد من هذه الأعمال أو يعتقد به.

كان على ابن تيمية الذي نسب نفسه شيخاً للإسلام أن يذكر مصدر هذه الأقاويل و الخزايا و لا يفرق صفوف المسلمين بتلك الكلمات، ولكنّه يا للعجب أخذها حقائق راهنة ونشرها بين الأُمّة!!

---

١. لاحظ منهاج السنة: ١١/١ و ٢٤ ـ ٣٠ والجزء: ١٤٥/٢.
٢. همان.
٣. همان

وليست هذه الافتراءات والأكاذيب بعيداً عمن يعرّفه الحافظ ابن حجر في كتابه« الفتاوى الحديثة» قال: «ابن تيمية عبد خذله الله وأضلّه وأعماه وأصمّه وأذلّه، وبذلك صرّح الأئمّة الذين بيّنوا فساد أحواله وكذب أقواله، ومن أراد ذلك فعليه بمطالعة كلام الإمام المجتهد المتّفق على إمامته وجلالته وبلوغه مرتبة الاجتهاد أبي الحسن السبكي وولده التاج والشيخ الإمام العزّ بن جماعة، وأهل عصرهم وغيرهم من الشّافعيّة والمالكيّة والحنفيّة، ولم يقصر اعتراضه على متأخّري الصوفيّة، بل اعترض على مثل عمر بن الخطّاب وعليّ بن أبي طالب(عليه السلام).

والحاصل: أن لا يُقام لكلامه وزنٌ بل يُرمى في كلّ وعر وحزن، ويُعتقد فيه أنّه مبتدعٌ ضالٌّ مضلٌّ غال، عامله الله بعدله، وأجارنا من مثل طريقته وعقيدته وفعله، آمين. إلى أن قال: إنّه قائلٌ بالجهة، وله في إثباتها جزءٌ، ويلزم أهل هذا المذهب، الجسميّةُ والمحاذاةُ والاستقرارُ، أي فلعلّه في بعض الأحيان كان يصرِّح بتلك اللوازم فنُسبت إليه، سيّما وممّن

نسب إليه ذلك من أئمّة الإسلام المتَّفق على جلالته وإمامته وديانته، وإنّه الثقة العدل المرتضى المحقِّق المدقِّق، فلا يقول شيئاً إلاّ عن تثبّت وتحقّق ومزيد احتياط وتحرّ، سيّما إن نسب إلى مسلم ما يقتضي كفره وردّته وضلاله وإهدار دمه.[١]

الموضوعات لابن الجوزي

ثمّ إنّي وقفت على كتاب «الموضوعات» لابن الجوزي و رأيت فيها أكاذيب وخزايا ومفتعلات نسبها إلى الشيعة بضرس قاطع، ثمّ رأيتها في كتاب «العقد الفريد»[٢] فتبيّن لي انّه أخذها من ذلك الكتاب من دون أن يذكر المصدر فالافتراءات في الكتابين تتّحد روحاً و معنى، و تختلف صورة والغاية تشبيه الشيعة باليهود وبالتالي إثارة البغض على شيعة آل البيت(عليهم السلام).

ومن حسن الحظ انّ لهذه الافتراءات جولة ولكن للحق دولة، وهي وإن كانت ربّما تنطلي على السُّذّج والبسطاء

---

١. الفتاوي الحديثة، ص ٨٦.
٢. العقد الفريد: ١٠٤/٢.

لكنّها تعود بالفائدة على الشيعة، وذلك عندما يرجع القارئ المنصف من السنّة إلى كتب الشيعة أو يلتقي بهم، يسيء الظن بتلك التهم التي حيكت حول الشيعة، بل يسيء الظن أيضاً بكلّ ما جاء في كتب أهل السنّة حول الشيعة ويفقد ثقته بعلمائهم، الأمر الذي يؤدّي إلى تعاطفه مع الشيعة أو اعتناقه مذهب التشيع.

وهذا صار سبباً لتحول عدد كبير من المفكّرين إلى مذهب التشيّع كما هو ملموس في البلاد العربية.

وما ذكرناه هو ما لمسه أيضاً الدكتور حسن فرحان المالكي في لقاء أجرته معه «مجلة المجلة»، حيث قال لما طرح عليه السؤال التالي:

ما هي الصورة الذهنية الخاطئة عن الشيعة؟

فأجاب بما هذا نصه: ومن الأسباب العامة الرئيسية في تحول الدكتور التيجاني وغيره من السنّة إلى الشيعة، الصورة الذهنية الخاطئة عن الشيعة التي صوّرناها تصويراً مشوّهاً بتعتيم يخالف الحقيقة، فعندما يأتي الدكتور التيجاني إلى

الشيعة الذين ينشر غلاة السنّة بأنّهم، أي الشيعة إنّما يعبدون علياً و يزعمون انّ جبرئيل أخطأ، وانّهم يريدون الكيد للإسلام من باب التشيّع، وانّهم يمتلكون مصاحف أُخرى غير مصاحفنا، وانّهم حاقدون على الإسلام ويتزاوجون سفاحاً، إلى غير ذلك من التشويهات بل الافتراءات التي قد تزيد شباب السنّة شكوكاً إذا اكتشفوا الحقيقة وإذاً فقدوا الثقة في علمائهم وباحثيهم فلا ينتظر منهم العلماء إلاّ هذا التحوّل الحاد والشكّ بالمنظومة السنيّة كلّها، بل والحقد على هذا التواطؤ في الكذب والتشويه والتعميم، فهذا من الأسباب العامّة التي يتحمّلها المجتمع السنّي الذي يجب عليه أن ينقل الصورة كاملة.[١]

(فبَشِّرْ عِباد * الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ القَول فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنه أُولئك الّذين هَداهُمُ اللّه وَأُولئكَ هُمْ أُولوا الأَلباب).[٢]

---

١. مجلّة المجلة، العدد ١٠٨٢، الصادرة بتاريخ ٢٠٠٠/١١/١١م.
٢. الزمر: ١٧ ـ ١٨.

٢

نظرة تمحيصية في كتاب الموضوعات

لابن الجوزي(٥١٠ـ ٥٩٧هـ)

قد راج الكذب على لسان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) في حياته وبعد رحيله وقد تنبّأ به في حديث متضافر أو متواتر وقال: «من تعمد عليّ كذباً فليتبوّأ مقعده من النار».

وأفضل دليل على وجود الكذب الهائل في الروايات هو انّ أصحاب الصحاح والسنن أخرجوا رواياتهم من بين روايات كثيرة هائلة.

فقد أتى أبو داود في سننه بأربعة آلاف وثمانمائة حديث، وقال: انتخبته من خمسمائة ألف حديث.[١]

١. طبقات الحفاظ: ١٥٤/٢؛ تاريخ بغداد: ٥٧/٩؛ المنتظم لابن الجوزي: ٩٧/٥.

ويحتوي صحيح البخاري في الخالص بلا تكرار على ألفي حديث وسبعمائة وواحد وستين حديثاً اختاره من زهاء ستمائة ألف حديث.[١]

وفي صحيح مسلم أربعة آلاف حديث أُصول دون المكررات صنّفه من ثلاثمائة ألف.[٢]

وذكر أحمد بن حنبل في مسنده زهاء ثلاثين ألف حديث وقد انتخبه من أكثر من سبعمائة وخمسين ألف حديث، وكان يحفظ ألف ألف حديث.[٣]

وكتب أحمد بن الفرات (المتوفّى ٢٥٨هـ) ألف ألف وخمسمائة ألف حديث، فأخذ من ذلك ثلاثمائة ألف في التفسير والأحكام والفوائد وغيرها.[٤]

١. إرشاد الساري: ٢٨/١؛ صفة الصفوة: ١٤٣/٤.
٢. المنتظم لابن الجوزي: ٣٢/٥؛ طبقات الحفاظ: ١٥١/٢، ١٥٧؛ شرح صحيح مسلم للنووي: ٣٢/١.
٣. طبقات ذهبى: ١٧/٢.
٤. الغدير: ٢٩٢/٥ ـ ٢٩٣.

ثمّ إنّ أسباب الوضع مختلفة، نذكر منها ما يلي:

١. فسح المجال للأحبار والرهبان لنقل ما في الكتب المحرّفة إلى الساحة الإسلامية، فقد نشروا بدعاً يهودية وسخافات مسيحية وأساطير مجوسية بين المسلمين، وتلقّاها المحدّثون حقائق راهنة، ونقلوها في كتب الحديث جيلاً بعد جيل.

٢. التجارة بالحديث، فقد وضعوا أحاديث للتزلّف إلى أهل الدنيا والطمع بها، ترى ذلك في الفضائل الموضوعة في حقّ الخلفاء، ولا سيّما معاوية و من بعده.

٣. وضع الحديث لنصرة المذهب، فقد افتعلوا أكاذيب على لسان رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) في مناقب أئمتهم، فهناك مناقب حكيت في أبي حنيفة[١]، و أُخرى في حقّ الإمام مالك[٢]، وثالثة حول الإمام أحمد[٣]، كما حكيت في حقّ الإمام

١. تاريخ بغداد، ٢٨٩/٢.
٢. ابن الحوت: أسنى المطالب: ١٤.
٣. مناقب أحمد: ٤٥٥.

الشافعي[1]، وكأنّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم)تنبّأ بأنّ الأُمّة الإسلامية ستفترق إلى مذاهب أربعة فقهية لا غير، فأخذ بتعريفهم قبل قرنين أو أكثر.

وهناك دواع أُخرى للوضع تركنا التعرض لها.

ولأجل ذلك قام غير واحد من المحدّثين بجمع الأخبار الضعاف والموضوعات، وقد جمعوا اليسير منها نشير إلى بعضها:

أ. «الموضوعات»: لمؤلّفه أبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي(٥١٠ـ٥٩٧هـ)،طبع مرّتين في ثلاثة أجزاء.

ب. «المقاصد الحسنة في كثير من الأحاديث المشتهرة على الألسنة»: للشيخ أبي عبد اللّه محمد بن عبد الرحمن السخاوي (المتوفّى٩٠٢هـ)، رتّبه على حروف أوائل الحديث.

ج. «اللآلي المصنوعة في الأحاديث الموضوعة»: للإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (٨٤٨ـ ٩١١هـ).

---

١. أسنى المطالب: ١٤.

د. «تمييز الطيب من الخبيث مما يدور على ألسنة الناس من الحديث»: لعبد الرحمن بن علي الشيباني الشافعي (٨٦٦ـ ٩٤٤هـ).

هـ. «سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة» تأليف محمد ناصر الدين الألباني المعاصر في ٥ أجزاء ، كلّ جزء يشتمل على ٥٠٠ حديث، تحدّث عن أسانيدها وحكم عليها بالضعف أو النكارة أو الوضع أو البطلان، ولكنّه ليس منصفاً في قضائه حيث يميل إلى التجسيم والنصب.

ولعلّ هناك كتباً أُخرى أُلّفت في هذا المضمار لم نطّلع عليها.

والذي دعانا إلى تحرير هذه الرسالة الموجزة هو ما وقفنا عليه في كتاب «الموضوعات» لابن الجوزي من التحامل على الشيعة، وهو بصدد تمحيص الصادق عن الكاذب، فنسب إلى الشيعة أُموراً هم بُرآء منها مع أنّه كان يعيش في بغداد وكانت العاصمة(بغداد) يومذاك معقل الشيعة وفيها فطاحل الأُمّة.

والحقّ انّ سيرة المؤلّف في كتبه و آثاره لم تكن على وتيرة واحدة، فكتابه «المنتظم» في عشرين جزءاً، من أفضل الآثار في تنظيم حياة العلماء والفقهاء وغيرهم من الأعاظم، ولكنّه في كتابه «مناقب أحمد بن حنبل» ـ لأجل نصرة مذهبه وإعلاء شأن إمامه ـ تشبّث بأضغاث الأحلام

واستدلّ بها، وعلى ضوء ذلك فلا عجب في أن ينسب في كتاب «الموضوعات» أُموراً تافهة إلى الشيعة، ليست لها مسحة من الحقّ ولا لمسة من الصدق.

وقفة قصيرة مع محقّق الكتاب

وقبل أن نناقش التُهَم التي رمى بها الشيعة، نشير إلى ما ذكره محقّق كتاب «الموضوعات» في مقدّمته حيث قال:

من أمثال ما وضعوه في مناقب علي(رضي الله عنه) من الأحاديث المكذوبة التي هي في مرتبة دون مراتب الغلو والإطراء الشركي، التي غلوا بها فيه، ثمّ ذكر أحاديث عشرة من الموضوعات في حقّ الإمام على حسب زعمه.

نحن لا نناقش موقف الرجل حول حال هذه الروايات وهل هي موضوعات أو لا ؟ إنّما نركّز على أمر واحد، هل الموضوعات في مجال المناقب مختصة بحقّ الإمام علي(عليه السلام) ،أو أنّها تعمّ الخلفاء الأربعة والعشرة المبشّرة وغيرهم من الأُمويّين والعباسيّين؟ فإذا كان الحال كذلك فلماذا اقتصر على الأوّل ولم يشر حتّى إلى شيء طفيف من الموضوعات في حقّ غيره؟! وما هذا إلاّ أنّ الرجل في منأى عن حب أهل البيت لو لم نقل انّ فيه روح النصب.

وهانحن نذكر نموذجاً واحداً من الموضوعات، وإن شئت قلت: من أحاديث الغلو أو قصص الخرافة في حقّ الخليفة أبي بكر ذكره الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في كتابه «عمدة التحقيق في بشائر آل الصديق»[١] كما نقله غيره.[٢]

---

١. ص ١٨٤ هامش روض الرياحين لليافعي المطبوع بمصر، سنة ١٣١٥ هـ.
٢. لاحظ نزهة المجالس: ١٨٤؛ الغدير: ٢٣٧/٧.

روي انّ النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال يوماً لعائشة: إنّ الله تعالى لمّا خلق الشمس خلقها من لؤلؤة بيضاء بقدر الدنيا مائة وأربعين مرة وجعلها على عجلة، وخلق للعجلة ثمانمائة وستّين عروة، وجعل في كلّ عروة سلسلة من الياقوت الأحمر، وأمر ستّين ألفاً من الملائكة المقرَّبين أن يجرّوها بتلك السلاسل مع قوّتهم التي اختصّهم الله بها، والشمس مثل الفلك على تلك العجلة وهي تدور في القبّة الخضراء، وتجلو جمالها على أهل الغبراء، وفي كلّ يوم تقف على خطّ الاستواء فوق الكعبة، لأنّها مركز الأرض وتقول: يا ملائكة ربّي إنّي لأستحي من الله عز وجلّ إذا وصلت إلى محاذاة الكعبة التي هي قبلة المؤمنين أن أجوز عليها، والملائكة تجرّ الشمس لتعبر على الكعبة بكلّ

قوّتها فلا تقبل منهم وتعجز الملائكة عنها، فالله تعالى يوحي إلى الملائكة وحي إلهام فينادون: أيّها الشمس بحرمة الرّجل الذي اسمه منقوش على وجهك المنير إلاّ رجعت إلى ما كنت فيه من السير. فإذا سمعت ذلك تحرّكت بقدرة المالك.

فقالت عائشة رضي الله عنها: يا رسول الله! من هو الرَّجل الذي اسمه منقوش عليها؟ قال: هو أبو بكر الصدِّيق يا عائشة! قبل أن يخلق الله العالم، علم بعلمه القديم أنّه يخلق الهواء، ويخلق على الهواء هذه السماء، ويخلق بحراً من الماء، ويخلق عليه عجلة مركباً للشمس المشرقة على الدنيا؛ وإنّ الشمس تتمرّد على الملائكة إذا وصلت إلى الاستواء، وإنّ الله تعالى قدّر أن يخلق في آخر الزمان نبيّاً مفضّلاً على الأنبياء وهو بعلك يا عائشة! على رغم الأعداء، ونقش على وجه الشمس اسم وزيره، أعني: أبا بكر صدّيق المصطفى، فإذا أقسمت الملائكة عليها به زالت الشمس، وعادت إلى سيرها، بقدرة المولى، وكذلك إذا مرّ العاصي من أُمّتي على نار جهنّم وأرادت النار على المؤمن أن تهجم، فلحرمة محبة الله في قلبه ونقش اسمه على لسانه ترجع النار إلى ورائها هاربة، ولغيره طالبة.

قال العلاّمة الأميني: هناك مسألة لا أدري من المجيب عنها، وهي انّ إرادة الله الفائقة على كلّ قوّة جامحة، وهي تمسك السماء بغير عمد ترونها وتسير الجبال تحسبهاجامدة

وهي تمر مرّ السحاب صنع الله الذي أتقن كلّ شيء، لِمَ لم تقم مقام أولئك المسخِّرين لجرِّ الشمس حتى لا يوقفها تمرد، ولا تحتاج إلى عُرى وسلاسل أو الإقسام بمن كتب اسمه عليها؟! وما الذي أحوج المولى سبحانه في تسيير الشمس إلى هذه الأدوات من العجلة والعرى والسلاسل وخلق أُولئك الجم الغفير من الملائكة واستخدامهم بالجر الثقيل، وهو الذي إذا أراد شيئاً أن يكون يقول له: كن فيكون؟!

ثمّ إنّ الشمس هلاّ كانت تعلم أنّ إرادة الله سبحانه ماضية عليها يجريها إلى الغاية المقصودة، فما هذا التوقّف والتمرّد والله تعالى أعلم بعظمة الكعبة وشرفها منها وقد جعلها في خطة سيرها، أنّى للشمس أن تجهل بها؟! وهي الشاعرة بخط الاستواء ومحاذاة الكعبة ووصولها إلى تلك النقطة المقدّسة وهي العارفة لمقامات الصديق وان اسمه منقوش عليها، وانّ من واجبها أن تنقاد ولا تجمح على من أقسم به عليها.[1]

---

١. الغدير: ٢٣٩/٧.

أقول: أو ما كان في وسع المحقّق أن يشير إلى شيء قليل من هذه الموضوعات أو قصص الخرافة في حقّ أبي بكر أو في غيره من الخلفاء الثلاث في جانب ما ذكره من الأحاديث الموضوعة في حقّ عليّ (عليه السلام) حتى يكون في قضائه موضوعياً؟!

فلنرجع إلى ما هو المقصود من وضع هذه الرسالة؟

* * *

عقد ابن الجوزي فصلاً في فضائل أبي بكر الموضوعة، كما عقد مثل هذا الفصل في حقّ عمر بن الخطاب، و عثمان بن عفان، وأخيراً عقد فصلاً في باب فضائل علي. وذكر في هذا الفصل ما لا يصحّ عنده من الفضائل في حقّ علي، ونحن نمرّ على هذه الأحاديث وما علّق عليها من دون نقد أو استيضاح، إنّما نتكلّم حول التّهم التي رَمى بها الشيعة وألصقها بهم، فها نحن نذكر تلك التهم مع إيضاح حالها.

التهمة الأُولى:

قال: محنة الرافضة محنة اليهود، قالت اليهود :لا يصلح الملك إلاّ في آل داود، وقالت الرافضة: لا تصلح الإمارة إلاّ في آل علي.

إنّ المؤلف سوّى بين شيعة علي ومحبّيه الذين يجسّدون بحبّهم قول اللّه تبارك و تعالى فيهم: (قُلْ لا أَسأَلُكُمْ عَليهِ أَجْراً إلاّ الْمَودّةَ فِي القُربى)[1]، سوّى بينهم و بين اليهود حيث إنّ الشيعة تقول: لا يصلح الملك إلاّ في آل علي نظير قول اليهود بأنّه لا يصلح إلاّ في آل داود.

أقول: لا شكّ انّ الشرائع السماوية تشترك في كثير من الأُمور وإن كانت تختلف في بعض آخر.

وهذا هو الذكر الحكيم يصوّر الشرائع السماوية بأنّها تتّحد جوهراً وتختلف في الشريعة والمشرب، يقول سبحانه:(وَأَنْزَلْنا إِليكَ الكِتابَ بِالحَقِّ مُصدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيهِ مِنَ

---

١. الشورى: ٢٣.

الكِتابِ وَمُهَيْمِناً عَلَيْهِ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِما أَنزَلَ اللّهُ وَلا تَتَّبع أَهواءَهُمْ عَمّا جاءَكَ مِنَ الحَقِّ لِكُلّ جَعَلْنا مِنْكُمْ شِرعَةً وَمِنْهاجاً وَلَو شاءَ اللّهُ لَجعلَكُمْ أُمّةً واحدَةً وَلكِن لِيَبْلُوَكُم فِي ما آتاكُمْ فاستَبِقُوا الْخَيراتِ إِلى اللّهِ مَرجِعُكُمْ جَميعاً فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ فيهِ تَخْتَلِفُون).[1]

فلا غرو في أن يشارك المسلمون أهل الكتاب في كثير من الفروع، فالجميع أُمروا بالصلاة والصوم وحرمة الربا وتحريم المحارم، أفيصح أن يقال: انّ محنة أهل السنّة محنة اليهود قالت اليهود بالصلاة والصوم وقالت السنّة بهما أيضاً؟!

فاشتراك الشيعة مع اليهود في اختصاص القيادة الإلهية ببيت رفيع كبيت داود و بيت علي (عليه السلام) يُشبه باشتراك المسلمين مع اليهود في الصلاة والصوم.

أو ما كان في وسع الرجل أن يُشبِّه قول الشيعة بقول

---

١. المائدة: ٤٨.

إبراهيم حيث طلب أن تكون الإمامة في ذريته فاستجيبت دعوته إلاّ في حقّ الظالمين، قال سبحانه: (وَإِذِ ابتَلى إِبْراهيمَ رَبُّهُ بِكَلمات فَأَتَمَّهُنَّ قالَ إِنّي جَاعِلُكَ لِلنّاسِ إِماماً قالَ وَمِنْ ذُريّتي قالَ لا يَنالُ عَهْدِي الظّالِمين).[١]

إنّه سبحانه جعل النبوة والكتاب في ذرّية إبراهيم وقال: (وَوَهَبْنا لَهُ إِسحاقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوّةَ والكِتابَ وآتَيْناهُ أَجْرهُ في الدُّنيا وَإِنّهُ فِي الآخرةِ لَمِن الصّالِحين).[٢]

فإذا جعل سبحانه السفارة الإلهية في آل إبراهيم، فأي وازع من أن يجعل الخلافة الإسلامية والإمامة في أشرف وأرفع بيت وأفضل منبت وهو بيت علي؟! أفيصح في منطق العقل تشبيه شيعة علي ومحبّي أئمة أهل البيت باليهود لأجل اشتراكهم في هذا النوع من القول؟!

كيف يسوّي الشيعة باليهود في قولهم بأنّ الأمارة لا

---

١. البقرة: ١٢٤.
٢. العنكبوت: ٢٧.

تصلح إلاّ في آل علي، وقد قال النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) على ما أخرجه مسلم في صحيحه: لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي من الناس اثنان.[١]

أخرج مسلم في صحيحه عن سماك بن حرب، قال: سمعت جابر بن سمرة قال: سمعت رسول الله، يقول: لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة، ثمّ قال كلمة لم أفهمها.

قال: قلت لأبي: ما قال؟

فقال: كلّهم من قريش.[٢]

وأيّ فرق بين حصر الملك في آل علي الذين هم أحد بطون قريش وحصره في قريش؟!

هذا ومن سبر في كتب العقائد يرى أنّ المتكلّمين ذكروا: أنّ من شرائط الخليفة أن يكون من قريش، ولم يذهب

---

١. صحيح مسلم: ٣/٦، باب الناس تبع لقريش.
٢. المصدر نفسه، باب الناس تبع لقريش.

إلى خلافه إلاّ الخوارج.

قال الباقلاني (المتوفّى ٤٠٣هـ): يشترط أن يكون قرشياً من صميم.[١]

وقال عبد القاهر البغدادي (المتوفّى ٤٢٩هـ) قال أصحابنا: إنّ الذي يصلح للإمامة ينبغي أن يكون فيه أربعة أوصاف ـ إلى أن قال: ـ الرابع: النسب من قريش.[٢]

وقال أبو الحسن البغدادي الماوردي (المتوفّى ٤٥٠هـ): والشروط المعتبرة في الإمامة سبعة ـ إلى أن قال:ـ السابع: النسب، وهو أن يكون من قريش.[٣]

وقال ابن حزم (المتوفّى ٤٥٦هـ): يشترط فيه أُمور: ١. أن يكون صلبه من قريش.[٤]

وقال القاضي سراج الدين الأرموي (المتوفّى ٦٨٩هـ):

---

١. التمهيد: ١٨١.
٢. أُصول الدين: ٢٧٧.
٣. الأحكام السلطانية:٦.
٤. الفصل: ١٨٦/٤.

صفات الأئمة تسع ـ إلى أن قال: ـ التاسع: أن يكون

قرشياً.[١]

أو يظن ابن الجوزي في حقّ هؤلاء مثل ما ظنّه في حقّ الشيعة حيث إنّهم أيضاً قالوا مثل قول اليهود لا يصلح الملك إلاّ في قريش؟

التهمة الثانية:

قالت اليهود: لا جهاد في سبيل اللّه حتّى يخرج المسيح الدجال، وقالت الرافضة: لا جهاد حتّى يخرج المهدي.[٢]

يلاحظ عليه: أنّه لو صحّ ما نسبه إلى اليهود فقياس الرافضة ـ حسب تعبيره ـ باليهود قياس مع الفارق، فانّ اليهود يقولون: لا جهاد في سبيل اللّه حتّى يخرج المسيح الدجال، فعندئذ يجاهدون لقتله وإعدامه ثمّ يتخلّون عن

---

١. مطالع الأنوار: ٤٧٠.
٢. الموضوعات: ٣٣٨/١ ـ ٣٣٩.

الجهاد؛ وأمّا الشيعة فهم يقولون ـ على فرض صحة النسبة ـ:لا جهاد في سبيل اللّه حتّى يخرج المهدي فيجاهدوا في ركابه إلى استقرار حكومته في الأرض وتجسم ما وعد به سبحانه على الأُمم وقال: (وَلَقَدْ كَتَبْنا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكرِ أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُها عِبادِيَ الصّالِحُون)[1]

فشتّان بين قوم لا يجاهدون إلاّ في وقت خاص لقتل عدوهم المزعوم، وبين قوم ينتظرون ظهور إمامهم المهدي الذي وعد اللّه به الأُمم حتّى يجاهدوا في كلّ وعر وحزن في أقاصي العالم وأقطاره لاستقرار حكومته الإلهية حتّى ترفرف راية الإسلام خفّاقة على ربوع الأرض.

وهناك نكتة أُخرى غفل عنها ابن الجوزي، وهي انّ الشيعة تقول بالجهاد الابتدائي ويطلق عليه بالجهاد التحريري وهو مشروع عندهم للغايات التالية:

١. تحرير البشرية من الشرك.

---

١. الأنبياء: ١٠٥.

---

٢. إزالة الرقابة المفروضة على الشعوب في استماع قول الحقّ.

٣. انقاذ المستضعفين من براثن الظالمين.

إلى غير ذلك من مبرّرات الجهاد الابتدائي قبالة الجهاد الدفاعي.

غير أنّ مشاهير فقهاء الإمامية ذهبوا إلى أنّه لا جهاد إلاّ بإذن إمام معصوم. وعلى ضوء ذلك فالشرط الرئيسي هو إذن الإمام، سواء أكان حاضراً أم غائباً، غير أنّ تحصيل الإذن في زمان الغيبة أمر مشكل، فكم فرق بين أن يقال لا جهاد إلاّ مع إمام حاضر أو نقول: لا جهاد إلاّ بإذن الإمام المعصوم؟! وإن كان تحصيل إذنه حضوراً أسهل من تحصيله في زمان الغيبة.

هذا وانّ لفيفاً من فقهاء الشيعة ذهبوا إلى كفاية إذن الإمام العادل وإن لم يكن معصوماً، والمسألة محررة في محلّها.

التهمة الثالثة:

اليهود يؤخّرون صلاة المغرب حتّى تشتبك النجوم وكذلك الرافضة.

يلاحظ عليه: ما نسبه إلى اليهود ممّا لا نحوم حوله، وأمّا ما نسبه إلى الرافضة فهي فرية واضحة، وقد جاءت الروايات على خلافه، فهذا هو الإمام الصادق(عليه السلام) قال: «ملعون ملعون من أخّر المغرب طلباً لفضلها».

وقيل له: إنّ أهل العراق يؤخّرون المغرب حتّى تشتبك النجوم، فقال: «هذا من عمل عدو الله أبي الخطاب».

و في رواية أُخرى قال: «من أخّر المغرب حتّى تشتبك النجوم من غير علّة فأنا إلى الله منه بريء».

وفي رواية رابعة عن ذريح، قال :قلت لأبي عبد الله(عليه السلام) :إنّ أُناساً من أصحاب أبي الخطّاب يُمْسون بالمغرب حتّى تشتبك النجوم، قال: «أبرأ إلى الله ممّن فعل ذلك متعمّداً».

إلى غير ذلك من الروايات التي نقلها الشيخ الحرّ العاملي في «وسائل الشيعة» في كتاب الصلاة، أبواب المواقيت.[1]

إنّ ابن الجوزي نسب رأي طائفة بائدة هالكة من الشيعة إلى عامّتهم مع أنّ أئمّتهم قد تبرّأوا من الخطابية مرة بعد أُخرى.

التهمة الرابعة:

اليهود يُولُّون عن القبلة شيئاً و كذا الرافضة.

يلاحظ عليه: أنّنا نترك الحديث حول ما نسبه إلى اليهود كسابقتها، لكن ما نسبه إلى الشيعة نسبة خاطئة بعيدة عن الصواب، فهم لا يولّون بوجههم عن صوب القبلة، بل يولّون من القبلة إلى القبلة، هذه هي مجمل القضية، وإليك التفصيل.

---

١. الوسائل:٦، الباب ١٨ من أبواب المواقيت، الحديث ١٢ ولاحظ الأحاديث ٦، ٧، ٨.

قد وردت الروايات انّ من توجّه إلى القبلة من أهل العراق والمشرق قاطبة، فعليه أن يتياسر قليلاً ليكون متوجّهاً إلى المسجد الحرام.[1]

وقال المحقّق في «الشرائع»: وأهل العراق ومن والاهم يجعلون الفجر على المنكب الأيسر، والمغرب على الأيمن، والجدي على محاذي خلف المنكب الأيمن، وعين الشمس عند زوالها على الحاجب الأيمن، ويستحب لهم التياسر إلى يسار المصلّي منهم قليلاً.[٢]

قال ابن فهد الحلي في شرحه على النافع المختصر: حضر المحقّق الطوسي[٣] ذات يوم حلقة درس المحقق(رحمه الله)بالحلّة، فقطع المحقّق الدرس تعظيماً له وإجلالاً لمنزلته، فالتمس منه الخواجة إتمام الدرس، فجرى البحث في مسألة استحباب التياسر للمصلّي بالعراق، فأورد المحقّق الخواجة

---

١. نهاية الشيخ:٦٣، باب معرفة القبلة وأحكامها.
٢. شرايع الإسلام: ٦٦/١.
٣. يريد نصيرالدين الطوسي.

بأنّه لا وجه لهذا الاستحباب، لأنّ التياسر إن كان من القبلة إلى غير القبلة فهو حرام وإن كان من غيرها إليها فهو واجب.

فأجاب المحقّق بأنّه من القبلة إلى القبلة، فسكت الخواجة، ثمّ إنّ المحقّق ألّف رسالة لطيفة في المسألة وأرسلها إلى المحقّق الطوسي فاستحسنها.[١]

وحاصل الجواب: منع الحصر بل التياسر في نفس القبلة، ولا مانع من أن يختصّ بعض جهات القبلة بمزيد الفضيلة على بعض، أو يكون الانحراف لأجل الاستظهار، بسبب الانحراف، والثاني هو الأظهر كما يظهر من الرواية وانّه لأجل تحصيل اليقين باستقبالها.

توضيحه: انّ لفقهائنا قولين:

أحدهما: انّ الكعبة قبلة لمن كان في الحرم و من خرج عنه، والتوجّه إليها متعيّن على التقديرات، فعلى هذا لا معنى للتياسر أصلاً.

---

١. روضات الجنان: ١٨٨/٢.

ثانيهما: انّها قبلة لمن كان في المسجد، والمسجد قبلة لمن كان في الحرم، والحرم قبلة لمن خرج عنه، وعلى هذا، فالآفاقي لا يتوجّه إلى الكعبة بل إلى الحرم، حتّى أنّ استقبال الكعبة في الصف المتطاول متعذّر لأنّ عنده جهة كل واحد من المصلّين، غير جهة الآخر، إذ لو خرج من وجه كل واحد منهم خط مواز، للخط الخارج من وجه الآخر، لخرج بعض تلك الخطوط عن ملاقاة الكعبة،

فحينئذ يسقط اعتبار الكعبة بانفرادها في الاستقبال، ويعود الاستقبال مختصّاً باستقبال ما اتّفق من الحرم.[1]

ثمّ إنّ القول باستحباب التياسر شيئاً طفيفاً مبني على هذا القول. ووجهه ما روي عن الإمام الصادق(عليه السلام) و قد سُئل عن سبب التحريف عن القبلة ذات اليسار؟ فقال: «إنّ الحرم عن يسار الكعبة ثمانية أميال وعن يمينها أربعة أميال، فإذا انحرف ذات اليمين خرج عن حدّ القبلة وإن انحرف

---

١. المهذب البارع: ٣١٣/١ ـ ٣١٤.

ذات اليسار لم يكن خارجاً عن القبلة».[1]

وهذا الحديث يؤذن بأنّ المقابلة قد يحصل معها احتمال الانحراف.

وقد عرفت أنّ المسألة اختلافية وأنّ التياسر مبنيّ على كون الحرم هو القبلة للآفاقي، وهذا أمر مختلف فيه، ولأجل ذلك استشكل فيه غير واحد من الفقهاء ، منهم المحقّق الأردبيلي، فمن أراد التفصيل فلينظر «مجمع الفائدة والبرهان».[2]

وعلى كلّ تقدير فهل يصحّ لمؤرّخ موضوعي أن يتّهم الشيعة بهذه التهمة ويلحقهم باليهودية مع أنّك عرفت أنّ المسألة لها جذور في الحديث والفقه، وأنّها اختلافية حسب اختلاف الرؤى في القبلة وانّ لها وجهاً علمياً قابلاً للتدبّر.

---

١. من لايحضره الفقيه: ١٧٨/١، الحديث ٢، الباب ٤٢ من أبواب القبلة.
٢. مجمع الفائده والبرهان: ٧١/٢ ـ ٧٤.

التهمة الخامسة:

اليهود تسدل أبوابها وكذلك الرافضة.

هكذا في النسخة المطبوعة في دار الفكر، ويحتمل أن يكون مصحّف:تسد، والظاهر انّ مراد ابن الجوزي اتّهام الشيعة بالبخل حيث يسدّون أبوابهم، أو يسدلون الستار لئلاّ يدخل عليهم أحد فيأكل على مائدتهم.

وهل ابن الجوزي جرّب ذلك في عامّة ربوع الأرض التي تقطن فيها الشيعة أو جرّبها في مورد دون مورد؟!

وهل تكون هذه التجربة الناقصة حجّة على الكلّ؟! ولعمر الحقّ انّ كلامه هذا أشبه بالمهزلة، فإنّ طائفة الشيعة من أسخى الطوائف حيث يوقفون الأموال الطائلة ويبذلونها بين الفقراء، ويساهمون في المشاريع الخيرية أكثر من سائر الطوائف، والشاهد عليه انّهم يعطون كلّ سنة خمس أرباحهم إلى إمامهم لصرفه في الأُمور الخيرية وترويج الشريعة إلى غير ذلك.

ولو حاول ابن الجوزي أن يعرف البخلاء والسفهاء، فعليه أن يرجع إلى كتاب «البخلاء» للجاحظ وهو وابن الجوزي كلاهما صنوان من أصل واحد، فعند ذلك يعرف من البخيل هل هم الشيعة أو غيرهم؟!

التهمة السادسة:

اليهود حرّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرّفوا القرآن.

اتّفق المسلمون على أنّ القرآن الموجود بين أيدينا هو القرآن المنزل على قلب سيّد المرسلين دون أن يكون فيه نقص أو زيادة، ولم يخالف في ذلك إلاّ شُذّاذ من الفريقين حيث تمسّكوا بروايات ضعيفة تنتهي إلى الضعّاف.

وقد ذهب مشايخ الشيعة تبعاً لأئمتهم إلى عدم طروء النقص والتحريف على القرآن الكريم وذلك بالبيان التالي:

إنّ القرآن الكريم كان موضع عناية للمسلمين من أوّل يوم أُتُوا به، فقد كان المرجع الأوّل لهم فيهتمون به قراءة

وحفظاً، كتابة وضبطاً، فتطرق التحريف إلى مثل هذا الكتاب لا يمكن إلاّ بقدرة قاهرة حتّى تتلاعب بالقرآن بالنقص، ولم يكن للأمويّين ولا للعباسيّين تلك القدرة القاهرة، لأنّ انتشار القرآن بين القرّاء والحفّاظ، وانتشار نُسَخِه على صعيد هائل قد جعل هذه الأمنية الخبيثة في عداد المحالات.

إنّ للسيد الشريف المرتضى بياناً في المقام نأتي بنصه، يقول: إنّ العلم بصحّة نقل القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار، والوقائع العظام، والكتب المشهورة وأشعار العرب المسطورة، فإنّ العناية اشتدت والدواعي توفّرت على نقله وحراسته، وبلغت إلى حد لم يبلغه غيره، لأنّ القرآن معجزة النبوة، ومأخذ العلوم الشرعية والأحكام الدينية، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وحمايته الغاية، حتّى عرفوا كلّ شيء اختلف فيه من إعرابه وقراءته وحروفه وآياته، فكيف يجوز أن يكون مغيّراً ومنقوصاً مع العناية الصادقة والضبط الشديد؟!

قال: والعلم بتفسير القرآن وأبعاضه في صحّة نقله كالعلم بجملته، وجرى ذلك مجرى ما علم ضرورة من الكتب المصنّفة ككتاب سيبويه والمُزني، فإنّ أهل العناية بهذا الشأن يعلمون من تفصيلهما ما يعلمونه من جملتهما، ومعلوم أنّ العناية بنقل القرآن وضبطه أصدق من العناية بضبط كتاب سيبويه ودواوين الشعراء.[1]

هذا وانّ علماء الشيعة الذين هم المراجع في العقائد والأحكام صرحوا ببطلان التحريف من لدن عصر الفضل بن شاذان (المتوفّى ٢٦٠هـ) إلى يومنا هذا، وقد ذكرنا نصوصهم في كتاب مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه.[2]

كما أجبنا في ذلك الكتاب عن الشبهات التي صارت سبباً لاحتمال طروء التحريف إلى القرآن الكريم.

نعم، توجد في كتب الفريقين روايات يستشم منها طروء التحريف، وهي لا تختصّ بفرقة دون أُخرى، هذا هو

---

١. مجمع البيان: ١٥/١ نقلاً عن السيّد المرتضى.
٢. مصادر الفقه الإسلامي و منابعه: ٤٩ ـ ٥٢.

الإمام البخاري ينقل في صحيحه:

خطب عمر عند منصرفه من الحجّ و قال: إيّاكم أن تهلكوا عن آية الرجم، يقول قائل لا نجد حدّين في كتاب اللّه، فقد رجم رسول اللّه ورجمنا، والذي نفسي بيده لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب اللّه تعالى لكتبتها: «الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما ألبتة» فأنا قد قرأناها.[1]

وبما انّا قد استوفينا الكلام في هذا الموضوع نقتصر على ذلك المقدار، فمن أراد التفصيل فعليه الرجوع إلى المصادر التالية.[2] هذا وقد ألّف غير واحد من أصحابنا رسائل خاصة في هذا الموضوع، نخصّ بالذكر:

١. «آلاء الرحمن» للشيخ الحجة البلاغي.
٢. «البيان في تفسير القرآن» للعلاّمة الحجّة السيد أبو القاسم الخوئي.

---

١. صحيح الباخري: ٢٠٨/٨ ـ ٢١١.
٢. مصادر الفقه الإسلامي ومنابعه: ٣٢ ـ ٧٨؛ ارشاد العقول: ١٣٧/١ ـ ١٥٢.

---

٣. «الميزان في تفسير القرآن» (سورة الحجر) للعلاّمة الطباطبائي.

٤. صيانة القرآن عن التحريف، تأليف المحقّق المعاصر محمد هادي معرفة.

التهمة السابعة:

اليهود يستحلّون دم كلّ مسلم وكذلك الرافضة.

اللّهم ما أجرأه على الفرية والافتعال! ما أجرأه على الكذب وإلصاق التهم بشيعة آل البيت الذين يقتدون بالنبي وأهل بيته في كلّ جليل ودقيق!

وهذا هو إمام الشيعة بل إمام المسلمين جعفر الصادق(عليه السلام) يقول: «الإسلام شهادة أن لا إله إلاّ اللّه، والتصديق برسول اللّه، به حقنت الدماء، وعليه جرت المناكح والمواريث».[1]

---

١. بحارالأنوار: ٢٤٨/٦٨، الحديث ٣.

وروى التميمي عن الإمام الرضا (عليه السلام)، عن آبائه، عن علي(عليه السلام) قال: قال النبي : «أُمرت أن أُقاتل الناس حتّى يقولوا لا إله إلاّ اللّه، فإذا قالوها فقد حرم عليّ دماؤهم وأموالهم».[1]

وروى البرقي مسنداً عن الإمام الصادق(عليه السلام) أنّه قال:«الإسلام يحقن به الدم، وتؤدّى به الأمانة، ويستحلّ به الفرج، والثواب على الإيمان».[2]

وهذه كتب الشيعة في العقائد والفقه مشحونة بذكر أركان الإيمان وهي التوحيد والرسالة والمعاد، فمن آمن بها فهو مسلم محقون الدم وله من الأحكام ما لسائر المسلمين، وبما انّ المسألة من البداهة بوضوح نطوي الكلام عنها، ومن أراد التفصيل فعليه أن يرجع إلى كتاب «الإيمان والكفر على ضوء الكتا ب والسنّة» بقلم المؤلّف.

---

١. البحار: ٢٤٢./٦٨
٢. البحار: ٢٤٣/٦٨.

 2.

٣. التهمة الثامنة:

٤. اليهود لا يرون طلاق الثلاث بشيء وكذلك الرافضة.

٥. نحن لا نتكلم فيما نسبه إلى اليهود، لأنّ القضاء فيه رهن الوقوف على أحكامهم، غير أنّ ما نسبه إلى الشيعة صحيح، ولكنّهم لا يقيمون وزناً للطلاق الثلاث تبعاً للكتاب والسنّة ويرون من يقول بها، منحرفاً عن المصدرين.

٦. إنّ الكتاب والسنّة يدلاّن على بطلان الطلاق ثلاثاً وانّه إمّا باطل أو لا يحسب إلاّ طلاقاً واحداً، إذ يجب أن تكون الطلقة واحدة بعد الأُخرى يتخلّل بينها رجوع أو نكاح، فلو طلق ثلاثاً مرّة واحدة أو كرر الصيغة في مجلس واحد فلا يقع الثلاث وعند بعضهم يقع طلاقاً واحداً.

٧. ثمّ إنّ الاستدلال على المسألة عن طريق الكتاب والسنّة خارج عن وضع الرسالة، وقد أشبعنا البحث فيها في كتاب«الاعتصام بالكتاب والسنّة»، غير انّنا نذكر طائفة من الروايات النبوية ليتّضح من خلالها انّ الشيعة لا تميل عن

8.

١٠. السنّة قيد شعرة.

١١. ١. أخرج النسائي عن محمود بن لبيد، قال: أخبر رسول اللّه عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعاً، فقام غضبان ثمّ قال: «أيلعب بكتاب اللّه وأنا بين أظهركم؟!» حتّى قام رجل و قال: يا رسول اللّه ألا أقتله؟[١]

١٢. إنّ محمود بن لبيد صحابي صغير وله سماع، روى أحمد باسناد صحيح عنه، قال: أتانا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)فصلّى بنا المغرب في مسجدنا فلما سلم منها قال: اركعوا هاتين الركعتين في بيوتكم للسبحة بعد المغرب.[٢]

١٣. ٢. روى ابن إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال: طلّق «ركانة» زوجته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، فسأله رسول اللّه: «كيف طلّقتها؟» قال: طلّقتها ثلاثاً في مجلس واحد. قال: «إنّما تلك طلقة واحدة

14.

١. سنن النسائي: /١٤٢؛ الدّرالمنثور للسيوطي: ٢٨٣/١ .15
٢. مسند أحمد بن حنبل: ٤٢٨/٥.

16.

١٨. فارتجعها».[١]

١٩. ٣. أخرج الإمام أحمد باسناد صحيح عن ابن عباس، قال: طلّق «ركانة» بن عبد يزيد أخو بني مطلب امرأته ثلاثاً في مجلس واحد، فحزن عليها حزناً شديداً، قال: فسأله رسول اللّه: «كيف طلّقتَها؟» قال: طلّقتها ثلاثاً، قال، فقال: «في مجلس واحد؟» قال: نعم، قال: «فإنّما تلك واحدة فأرجعها إن شئت»، قال: فارجعها، فكان ابن عباس يرى انّما الطلاق عند كلّ طهر.[٢]

٢٠. الاجتهاد مقابل النصّ:

٢١. التحق النبي(صلى الله عليه وآله وسلم) بالرفيق الأعلى و قد حدث بين المسلمين اتّجاهان مختلفان، وصراعان فكريّان، فعلي (عليه السلام) ومن تبعه من أئمّة أهل البيت كانوا يحاولون التعرّف على الحكم الشرعي من خلال النصّ الشرعي آية ورواية ولا يعملون

22.

١. بداية المجتهد: ٦١/٢. .23
٢. مسند أحمد بن جنبل: ٢٦٥/١.

24.

٢٦.برأيهم أصلاً ، وفي مقابلهم لفيف من الصحابة يستخدمون رأيهم للتعرّف على الحكم الشرعي من خلال التعرّف على المصلحة ووضع الحكم وفق متطلباتها.

٢٧.وعلى ضوء ذلك فالتاريخ يشهد بأنّ أوّل من ترك النص وأخذ بالاجتهاد في هذه المسألة هو عمر بن الخطاب ، وقد صارت البدعة بمرور الزمان سنّة والسنّة بدعة، وإن كنت في شك من ذلك فاقرأ هذه النصوص:

٢٨.١. أخرج مسلم عن ابن عباس، قال: كان الطلاق على عهد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر: طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب: إنّ الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة، فلو أمضيناه عليهم، فأمضاه عليهم.[١]

٢٩.٢. أخرج مسلم عن ابن طاووس عن أبيه: انّ أبا الصهباء قال لابن عباس: أتعلم أنّما كانت الثلاث تجعل

30.

١. صحيح مسلم: ٤، باب الطلاق ثلاث، الحديث ١ ـ ٣.31.

32.

صفحه ٥٦ 33.

٣٤.واحدة على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر وثلاثاً من خلافة عمر؟ فقال: نعم.[١]

٣٥.٣. وأخرج مسلم أيضاً: انّ أبا الصهباء قال لابن عباس: هات من هناتك، ألم يكن الطلاق الثلاث على عهد رسول اللّه و أبي بكر واحدة؟ قال: قد كان ذلك، فلمّا كان في عهد عمر تتابع الناس في الطلاق فأجازه عليهم.[٢]

٣٦.٤. أخرج البيهقي، قال: كان أبو الصهباء كثير السؤال لابن عباس، قال: أما علمت أنّ الرجل كان إذا طلق امرأته ثلاثاً قبل أن يدخل بها، جعلوها واحدة على عهد النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) وأبي بكر و صدراً من إمارة عمر فلمّا رأى الناس قد تتابعوا فيها، قال: أجيزوهن عليهم.[٣]

٣٧.فأيّ الفريقين ـ يابن الجوزي ـ أحقّ بالأمن، أمّن يتّبع السنّة اللاّحبة والطريق المهيع أو مَن يجتهد أمام النص؟! واللّه

38.

١. المصدر السابق.39.
٢. المصدر السابق.
٣. سنن البيهقي: ٣٣٩/٧؛ الدر المنثور للسيوطي: ٢٧٩/١.

40.

صفحه ٥٧ 41.

٤٢.سبحانه يقول: (يا أيّها الَّذِينَ آمَنُوا لا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللّهَ إِنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيم).[١]

٤٣. وقد حاول غير واحد من المتفقّهة أن يبرّروا فتوى الخليفة أمام الكتاب والسنّة ولكن خابت محاولاتهم، فهذا هو ابن قيم الجوزية أحد المتحمّسين في الدفاع عن الخليفة في هذه الفتيا يقول: لم نجد بداً من القول بأنّ المصلحة في زماننا هذا على عكس ما كان عليه زمن الخليفة، وانّ تصحيح التطليق ثلاثاً، جرّ الويلات على المسلمين في أجوائنا وبيئاتنا وصار سبباً لاستهزاء الأعداء بالدين وأهله، وانّه يجب في زماننا هذا الأخذ بنصّ الكتاب والسنّة، وهو انّه لا يقع منه إلاّ واحد.[٢]

44.

---

١. الحجرات:١. 45.
٢. اعلام الموقعين عن ربّ العالمين: ٣/٣٦.

46.

 47.

٤٨. التهمة التاسعة:

٤٩. اليهود يبغضون جبرئيل ويقولون هو عدونا من الملائكة، وكذلك الرافضة يقولون غلط بالوحي.

٥٠. لا شكّ انّ اليهود يبغضون جبرئيل وغيره بنصّ القرآن الكريم، قال سبحانه: (قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّهِ مُصَدِّقاً لِما بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدىً وَبُشرى لِلْمُؤْمِنين).[١]

٥١. وأمّا سبب عدائهم لجبرئيل فقد فصّل الكلام فيه فخر الدين الرازي في تفسيره، ومن أسباب عدائهم زعمهم انّ أمين الوحي جبرئيل خان حيث أُمر أن يجعل النبوة فينا]اليهود [فجعلها في غيرنا.[٢]

٥٢. وهذا يعرب عن أنّ مسألة«خان الأمين» فكرة يهودية قد أخذها عدو آل البيت من اليهود ونسبها إلى الشيعة أو إلى الرافضة على حدّ تعبير ابن الجوزي، والشيعة براء من هذه

53.

---

١. البقرة:٩٧. 54.
٢. تفسير فخر الرازي: ٢/١٩٥.

55.

 56.

٥٧. التهمة، فلا تجد أي أثر لهذه الفرية في كتبهم.

٥٨. ومن هوان الدنيا على الكاتب الإسلامي ـ كابن الجوزي ـ أن يعتمد على أُسطورة تاريخية لاكتها اليهود فيأخذها من يد اليهود وينسبها إلى شيعة آل البيت الذين ليس لهم ذنب سوى حبهم لأهل البيت(عليهم السلام) الذين أذهب اللّه عنهم الرجس وطهّرهم تطهيراً.

٥٩. التهمة العاشرة:

٦٠. فضلت صنف من اليهود أو النصارى على الرافضة بخصلتين سُئلت اليهود مَنْ خيرُ أهل ملّتكم، قالوا: أصحاب موسى. وسئلت النصارى، فقالوا: أصحاب عيسى، وسئلت الرافضة من شرّ أهل ملّتكم، فقالوا حواريّ محمد، وأُمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم.

٦١. إنّ هذا الكلام يشتمل على فريتين:

٦٢. الأُولى: سئلت الرافضة من شرّ أهل ملّتكم، فقالوا: حواري محمد.

63.

64. صفحه ٦٠

٦٥. الثانية: أمروا بالاستغفار لهم فسبّوهم.

٦٦. أمّا الأُولى فهي فرية شائنة لا تجد أيَّ سند لها في كتب الشيعة، فإنّ لصحابة النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) عند الشيعة منزلة خاصة لأنّهم رأوا نور الوحي واستضاءوا به وآمنوا بالنبي (صلى الله عليه وآله وسلم) و نصروه.

٦٧. وهذا هو إمام الشيعة علي أمير المؤمنين(عليه السلام) يصف الصحابة بقوله:

٦٨. ١. لقد رأيت أصحاب محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) فما أرى أحداً يُشبههم منكم، لقد كانوا يُصبحون شُعثاًغبراً، و قد باتوا سُجّداً و قياماً، يراوحون بين جباههم، وخدودهم، ويقفون على مثل الجمر من ذكر معادهم! كأنّ بين أعينهم رُكب المِعْزى من طول سجودهم! إذا ذكر اللّه همُلت أعينهم حتّى تبلّ جيوبهم، ومادوا كما يميد الشجر يوم الريح العاصف خوفاً من العقاب ورجاءً للثواب.[1]

69.

١. نهج البلاغه: الخطبة ٩٧. .70

71.

72. صفحه ٦١

٧٣. ٢. وقال الإمام زين العابدين(عليه السلام): اللّهم وأصحاب محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) خاصة الذين أحسنوا الصحبة ، والذين أبلوا البلاء الحسن في نصره، وكاتفوه وأسرعوا إلى وفادته، وسابقوا إلى دعوته، واستجابوا له حيث أسمعهم حجة رسالاته، وفارقوا الأزواج والأولاد في إظهار كلمته، وقاتلوا الآباء والأبناء في تثبيت نبوته، وانتصروا به، ومن كانوا منطوين على محبته، يرجون تجارة لن تبور في مودته، والذين هجرتهم العشائر إذ تعلّقوا بعروقه، وانتفت منهم القربات إذ سكنوا في ظل قرابته، فلا تنس اللّهم ما تركوا لك وفيك، وأرضهم من رضوانك وبما حاشوا الخلق عليك، وكانوا مع رسولك، دعاة لك إليك، واشكرهم على هجرهم فيك ديار قومهم وخروجهم من سعة المعاش إلى ضيقه، ومن كثّرتَ في إعزاز دينك من مظلومهم .

٧٤. اللّهمّ وأوصل إلى التابعين لهم بإحسان الذين يقولون ربّنا اغفر لنا ولإخواننا».[1]

75.

١. الصحيفة السجادية: الدعاء ٤. .76

77.

78. صفحه ٦٢

٧٩. هذا كلّه حول الفرية الأُولى، وأمّا الفرية الثانية من أنّهم أُمروا بالاستغفار فسبّوهم فيا ليت انّه تكفّل عناء البحث وراء هذه المسأله في كتب الشيعة، دون أن ينسبه إليهم دون دليل.

٨٠.والحقّ انّ الشيعة لا يسبّون أحداً من الصحابة، فإنّ سباب المؤمن فسوق، ولكنّهم لا يعتقدون بعدالة الصحابة كلّهم، ولا يغالون في حقّ من عُدّ من الصحابة بحجّة انّهم رأوا أو سمعوا حديث النبي أو عاشروه، بل يعتقدون أنّ الصحابة كالتابعين ففيهم الصالح والطالح والعادل والفاسق، ويشهد على ذلك القرآن الكريم حيث يصف بعضهم بالفسق ويقول:(إِنْ جاءَكُمْ فاسِقٌ بنبأ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوماً بِجَهالَة فَتُصْبِحُوا عَلى ما فَعَلْتُمْ نادِمِين).[1]

٨١.إنّ القول بعدالة جميع الصحابة لم يظهر في عهد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا في عهد الخلفاء وإنّما ظهر في عهد الأمويّين

82.

١. الحجرات: ٦. 83.

84.

صفحه ٦٣ 85.

٨٦.للحيلولة دون التفاف الرأي العام حول أئمّة أهل البيت (عليهم السلام).

٨٧.غير أنّ ابن الجوزي أعرف بصحاح أهل السنّة ومسانيدهم، وقد تعرضت هذه الكتب للصحابة بالطعن والارتداد، ولأجل إيقاف القارئ على شيء ممّا جاء في هذه الكتب من الطعن على الصحابة، نذكر بعض ما روي في ذلك المجال، ومن أراد التفصيل فليرجع إلى كتاب «جامع الأُصول» لابن الأثير:١١/١١٩.

٨٨.١. روى عبد اللّه بن مسعود، قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) أنا فرطكم على الحوض، وليُرفعنّ إليّ رجال منكم، حتّى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختلجوا دوني، فأقول: أي رب، أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.[1]

٨٩.٢. روى أنس بن مالك أنّ رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: ليردنّ عليّ الحوض رجال ممّن صاحبني حتّى إذا رأيتهم ورفعوا إليّ اختلجوا دوني، فلأقولنّ: أي ربّ، أصحابي، أصحابي،

90.

١. أخرجه البخاري ومسلم. 91.

92.

صفحه ٦٤ 93.

٩٤.فليقالن لي: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك.[1]

٩٥.٣. روت عائشة، قالت: سمعت رسول اللّه ، يقول ـ و هو بين ظهراني أصحابه ـ: إنّي على الحوض أنتظر من يرد عليّ منكم، فواللّه ليقطعنّ دوني رجال، فلأقولنّ : أي ربّ، مني و من أُمّتي! فيقول: إنّك لا تدري ما عملوا بعدك ما زالوا يرجعون على أعقابهم.[2]

٩٦.٤. روت أسماء بنت أبي بكر، قالت: قال رسول اللّه(صلى الله عليه وآله وسلم): إنّي على الحوض، أنظر من يرد عليّ وسيؤخذ ناس دوني، فأقول: يا ربّ، مني و من أُمّتي، وفي

رواية، فأقول: أصحابي، فيقال: هل شعرت ما عملوا بعدك؟ واللّه ما برحوا يرجعون على أعقابكم.[٣]

٩٧.٥. روى سعيد بن المسيب انّه كان يحدِّث عن أصحاب النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) قال: يرد عليّ الحوض رجال من أصحابي،

98.

١. أخرجه البخاري ومسلم. 99.
٢. أخرجه مسلم.
٣. أخرجه البخاري ومسلم.

100.

١٠٢. فيُحلؤون عنه، فأقول: يا ربّ، أصحابي، فيقول: إنّك لا علم لك بما أحدثوا بعدك. إنّهم ارتّدوا على أدبارهم القهقرى.[١]

١٠٣. ٦. روى أبو هريرة، قال: قال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) والذي نفسي بيده، لأذودن رجالاً عن حوضي، كما تذاد الغريبة من الإبل عن الحوض.[٢]

١٠٤. باللّه عليك يابن الجوزي من الذي يبخس حقوق الصحابة هل الشيعة أو الذين يروون عن النبي إرتدادهم بعد رحيله، والمرتد خارج عن ربقة الإسلام، كافر باللّه ورسله وكتبه، ضال مضلّ ملعون في الدنيا والآخرة؟!

١٠٥. نعم هناك فرق بين وصف ما ارتكبه بعض الصحابة من الأعمال المشينة وبين سبّهم، فالسبّ يضاد روح الإسلام، ولكن وصف الرجل بما له من الأعمال الحسنة والسيئة هو طريقة المحقّق المتحرّي للحقائق.

106.

١. أخرجه البخاري. 107.
٢. أخرجه البخاري ومسلم.

108.

١١٠. عفا اللّه عنّا وعن ابن الجوزي حيث جرّنا إلى تحرير هذه الكلمات التي ربّما تعكر صفو المياه وترخي عرى الوحدة الإسلامية، واستغفر اللّه لي و له .

111.

١١٣. خاتمة المطاف

١١٤. ما أشبه الليلة بالبارحة

١١٥. وربما يتصوّر القارئ انّ ابن الجوزي رمى الشيعة بهذه التهم بعد ان لمسها بعينه وشاهدها. ولكن الغريب حقّاً انّه لم يعش مع الشيعة قط ليرى تلك الأُمور بأُمّ عينيه، بل نقلها من كاتب متساهل هو ابن عبد ربّه الأندلسي في كتابه «العقد الفريد» دون أي تحقيق وتتبّع،

فإنّ الثاني سعى أن يشبّه الرافضة حسب تعبيره باليهود من جهات شتّى وكأنّهم هم اليهود ، وإليك نزراً ممّا اختلقه من التشبيه حيث قال:

١١٦. ١. الرافضة يهود هذه الأُمّة يبغضون الإسلام كما يبغض اليهود النصرانية...[١]

117.

١. العقد الفريد: ١٠٤/٢. 118.

119.

120. صفحه ٦٨

١٢١. وكلامه هذا لا يوافق كلام صاحب الرسالة في حق شيعة علي حيث قال: أنت و شيعتك هم الفائزون ذكره (صلى الله عليه وآله وسلم)في تفسير قوله: (انَّ الّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات أُولئِكَ هُمْ خَيْرُ البَرِيّة)[١].[٢]

١٢٢. ٢. محنة الرافضة محنة اليهود قالت اليهود لا يكون الملك إلاّ في آل داود وقالت الرافضة لا يكون الملك إلاّ في آل علي.[٣]

١٢٣. وهذا المورد بعينه كسائر الموارد اجترّه ابن الجوزي وأعاد ذكره في كتابه تقليداً لا تحقيقاً، وغافلاً عن الحديث المتضافر عن النبي (صلى الله عليه وآله وسلم) الذي رواه بضع وعشرون صحابياً حيث قال: «إنّي تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا بعدي: كتاب اللّه وعترتي أهل بيتي، و انّهما لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض». نقله ابن حجر في صواعقه عن بضع و عشرين

124.

١. البيّنة:٧. 125.
٢. تفسير الدر المنثور في تفسير الآية.
٣. العقد الفريد: ١٠٤/٢.

126.

127. صفحه ٦٩

١٢٨. صحابياً.[١]

١٢٩. ٣. اليهود يؤخّرون صلاة المغرب حتّى تشتبك النجوم و كذلك الرافضة.

١٣٠. و قد سبق منّا الحديث عنه، فلاحظ.

١٣١. ٤. اليهود لا ترى الطلاق الثلاث شيء و كذا الرافضة.

١٣٢. وقد سبق منّا الحديث عنه وانّ ما نسبه إلى الرافضة كان الأولى أن ينسبه إلى القرآن الكريم حيث إنّه سبحانه يقول:(الطلاقُ مرّتانِ فإمساكٌ بِمَعروف أو تَسريح بإحسان) إلى أن يقول: (فإن طلّقها فَلا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدُ حتّى تَنْكِحَ زَوجاً غَيرَه).[٢]

١٣٣. قال العلاّمة الأميني: ومن جلية الحقائق انّ تحقّق المرتين أو الثلاث يستدعي تكرر وقوع الطلاق، كما يستدعي تخلّل الرجعة بينهما أو النكاح، فلا يقال للمطلّقة مرتين

134.

١. الصواعق المحرقة: ٢٢٨.
٢. البقرة: ٢٢٩ ـ ٢٣٠.

١٣٨. بكلمة واحدة أو في مجلس واحد إنّما طلقت مراراً، كما إذا كان زيد أعطى درهمين لعمرو بعطاء واحد، لا يقال إنّه أعطى درهمين مرّتين وهذا معنى يعرفه كلّ عربي صميم.[1]

١٣٩. ٥. اليهود لا ترى على النساء عدّة وكذلك الرافضة.

١٤٠. ٦. اليهود تستحل دم كلّ مسلم وكذا الرافضة.

١٤١. ٧. اليهود حرّفوا التوراة وكذلك الرافضة حرّفت القرآن.

١٤٢. ٨. اليهود تبغض جبرئيل وتقول هو عدونا من الملائكة و كذلك الرافضة تقول: غلط جبرئيل في الوحي إلى محمد بترك علي بن أبي طالب.

١٤٣. ٩. اليهود لا تأكل لحم الجزور وكذا الرافضة.

١٤٤. وجاء بعد ابن الجوزي شيخ البدع و الضلالة ابن تيمية في «منهاج السنة» الذي هو أولى أن يسمّى منهاج البدعة، فسار على منهاج سلفه فرأى أنّ ما افتعله أسلافه

١. الغدير: ٣/١٢٣.

١٤٩. شيئاً قليلاً فحاول أن يضيف عليها تهماً أُخرى، فقال:

١٥٠. اليهود يستحلّون أموال الناس كلّهم وكذلك الرافضة.

١٥١. اليهود تسجد على قرونها في الصلاة و كذلك الرافضة.

١٥٢. اليهود لا تسجد حتّى تخفق برؤوسها مراراً تشبيهاً بالركوع وكذلك الرافضة.

١٥٣. اليهود يرون غش الناس وكذلك الرافضة.[1]

١٥٤. إلى غير ذلك من الخرافات والسفاسف ممّا لا يحتاج إلى النقد و الرد لمن ألقى السمع وهو بصير.

١٥٥. ونمر على تلك السفاسف مرار الكرام و نقول:

١٥٦. (هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلى مَنْ تَنَزَّل الشَّياطينُ*

١٥٧. تَنَزَّلُ عَلى كُلِّ أَفّاك أَثيم * يُلْقُونَ

١٥٨. السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كاذِبُونَ).[2]

١. منهاج السنة: ١/٧ ـ ٨.
٢. الشعراء: ٢٢١ ـ ٢٢٣.

١٦٤. قد زعم أبناء حزم والجوزي و تيمية ومن لفّ لفّهم في الافتراء على الشيعة، أنّ لما نسجوه من الأكاذيب تأثيراً على العقول الحرّة. كلا إنّها كلمة هم قائلوها ومن ورائها من يناقشهم ويبدي عِوَارهم.

١٦٥. والسابر في كتب هؤلاء ومن سار في خطهم، يقف على أنّ القوم يتبارون في نسج الأكاذيب على الشيعة، وكأنّ أفضلَهم أكذُبهم.

١٦٦. وإن كنت في شكّ من ذلك، فاقرأ الفرية التي نقلها عبد الرحمن بن عبد السلام الصفوري الشافعي (المتوفّى ٨٩٤) في كتابه.[١]

167.

١. «نزهة المجالس»: ١٩٥/٢. 168.

169.

170. صفحه ٧٣

١٧١. قال: كنت مجاوراً بالمدينة المشرَّفة على مشرِّفها أفضل الصّلاة والسّلام فخرجت يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الإمامية في قبّة العباس وقد اجتموا في القبّة، قال: فوقفت أنا على باب القبّة وقلت: أُريد في محبّة أبي بكر شيئاً فخرج إليّ شيخٌ منهم وقال: اجلس حتّي نفرغ ونعطيك، فجلست حتّى فرغوا ثمّ خرج ذلك الرجل وأخذ بيدي ومضى بي إلى داره وأدخلني الدار وأغلق ورائي الباب وسلّط عليّ عبدين فكتَّفاني وأوجعاني ضرباً، ثمّ أمرهما بقطع لساني فقطعاه، ثمّ أمرهما فحَلاّ كتافي، وقال: اخرج إلى الذي طلبتَ في محبّته ليردّ إليك لسانك.

١٧٢. قال: فخرجت من عنده إلى الحجرة الشريفة النبويّة وأنا أبكي من شدّة الوجع والألم فقلت في نفسي: يا رسول الله! قد تعلم ما أصابني في محبّة أبي بكر فإن كان صاحبك حقّاً؟ فأُحبّ أن يرجع إليّ لساني وبتُّ في الحجرة قلقاً من شدّة الألم فأخذتني سِنةٌ من النوم فنمت فرأيت في منامي انّ لساني قد عاد إلى حاله كما كان فاستيقظت فوجدته في فيَّ صحيحاً

173.

174. صفحه ٧٤

١٧٥. كمان كان و أنا أتكلّم فقلت: الحمد لله الذي ردّ عليَّ لساني وازددتُ محبّةً في أبي بكر.

١٧٦. فلمّا كان العام الثاني في يوم عاشوراء اجتمعوا على عادتهم فخرجت إلى باب القبّة وقلت: أُريد في محبّة أبي بكر ديناراً، فقام إليَّ شابٌّ عن الحاضرين وقال لي: اجلس حتّى نفرغ. فجلست فلمّا فرغوا خرج إليَّ ذلك الشابّ وأخذ بيدي ومضى بي إلى تلك الدار فأدخلني فيها ووضع بين يديَّ طعاماً.

١٧٧. ولمّا فرغنا قام الشابُّ وفتح عليَّ باباً على بيت في الدار وجعل يبكي فقمت لأنظر ما سبب بكائه فرأيت في البيت قرداً مربوطاً فسألته عن قضيَّته فزاد بكاءً فسكّنته حتّى سكن، فقلت له: باللّه أخبرني عن حالك فقال: إن حلفتَ لي أن لا تخبر أحداً من أهل المدينة أخبرتك، فحلفت له.

١٧٨. فقال: اعلم أنّه أتانا في عام أوّل رجلٌ وطلب في محبّة أبي بكر شيئاً في قبّة العباس يوم عاشوراء فقام إليه أبي و كان من أكابر الإمامية والشيعة فقال له: اجلس حتّى نفرغ. فلمّا

179.

180. صفحه ٧٥

١٨١. فرغوا أتى به إلى هذه الدار وسلّط عليه عبدين فضرباه، وأمر بقطع لسانه فقطع، وأخرجه فمضى لسبيله ولم نعرف له خبراً، فلمّا كان الليل و نمنا صرخ أبي صرخة عظيمة فاستيقظنا من شدّة صرخته فوجدناه قد مسخه اللّه قرداً ففزعنا منه وأدخلناه هذا البيت وربطناه، وأظهرنا للناس موته وهو ذا نبكي عليه بكرة وعشيّاً.

١٨٢. فقلت له: إذا رأيت الذي قطع أبوك لسانه تعرفه ؟ قال: لا واللّه: فقلت: أنا هو واللّه، أنا الذي قطع أبوك لساني، وقصصت عليه القصّة فأكبّ عليَّ يقبّل رأسي ويدي ثمّ أعطاني ثوباً ودیناراً وسألني كيف ردّ اللّه عليَّ لساني؟ فأخبرته وانصرفت.

١٨٣. على هامش القصة

١٨٤. ربما يتصوّر ذوو التعصب والعقول الفارغة أنّ باستطاعتهم أن يُمرّروا أهدافهم الخبيثة من خلال نسج الأكاذيب وحوك الافتراءات... وإلاّ فأيّ إنسان يحترم عقله

185.

186. صفحه ٧٦

١٨٧. يصدّق مثل هذه الخرافة التي تفضح قبل كلّ شيء صانعها، وتكشف عن خياله السقيم وذوقه الفاسد وعقله التافة.

١٨٨. وكان الأجدر بالصفوري (المؤلّف) أن يُفكّر قليلاً قبل أن يسوّد صفحات كتابه، بهذه القصة المختلقة، ويكشف هو الآخر عن سذاجته وغفلته بتصديق مثل هذه الأكاذيب المفضوحة التي لم يقصد منها إلاّ خداع البسطاء باستغلال عواطفهم ومشاعرهم الدينية من جهة، وبإثارة النعرات الطائفية والإحن والأحقاد في نفوسهم من جهة أُخرى.

١٨٩. ولكن محاولات هذا الأفّاك البائس، لم تنجح، لأنّ القصة من التفاهة والسخف، بحيث تبعث على الاشمئزاز والقَرف أكثر ممّا تثير العواطف، وتستدرّ الشفقة على عقل صانعها وبائعها أكثر ممّا تدفع إلى الإعجاب والتقدير لهما، ولا أعتقد أنّ لها سوقاً رائجة في دنيا العقول.

١٩٠. ونحن لم نسمع على طول الفترة التاريخية الممتدة من عصر موسى(عليه السلام) إلى يومنا هذا أنّ ثمة من مُسخ قرداً على الرغم من عِظَم الجرائم التي ارتكبت، والفظائع التي اقتُرفت.

191.

192. صفحه ٧٧

١٩٣. وهذا الكوكب الذي نعيش عليه يضجّ بالقَتَلة والإرهابيين والجزّارين، ولكننا لم نسمع أنّ أحداً منهم قد مُسخ قِرْداً أو خنزيراً، فما بالُ هذا الإمامي الكبير (المجهول الاسم، والذي لم يولد إلاّ في خيال ذلك المعتوه) قد شذّ عن هؤلاء جميعاً؟!! وأي حظّ قاتم قد قدّر لهذا المسكين الذي لم يقطع إلاّ لساناً واحداً؟!!

١٩٤. نعوذ باللّه من سُبات العقل، وقُبح الزّلل، وبه نستعين.

١٩٥. فرية تلو فرية

١٩٦. نقل الشيخ إبراهيم العبيدي المالكي في «عمدة التحقيق» عن خاله الشيخ عليا المالكي: انّ الرافضي إذا أشرف على الموت يقلّب اللّه صورة وجهه وجه خنزير فلا يموت إلاّ إذا مسخ وجهُه وجهَ خنزير، ويكون ذلك للأُمّة على انّه مات على الرفض، فيستبشرون بذلك الروافض، وإن لم يقلب وجهه عند الموت يحزنون ويقولون انّه مات سنيّاً.[١]

197.

١. عمدة التحقيق: ٢٢٧. 198.

199.

200. صفحه ٧٨

٢٠١. فرية تلو فرية تلو فرية

٢٠٢. ذكر الجرداني في مصباح الظلام[١] شاهداً على هذه الفرية، فقال: لما مات [٢] ابن منير: خرج جماعة من شُبّان حلب يتفرجون، فقال بعضهم لبعض: قد سمعنا انّه لا يموت أحد ممّن كان يسبُّ أبا بكر وعمر إلاّ ويمسخه اللّه تعالى في قبره خنزيراً، ولا شكّ انّ ابن منير كان يسبُّهما، فأجمعوا رأيهم على المضي إلى قبره، فمضوا ونبشوه فوجدوا صورته خنزيراً ووجهه منحرفاً عن جهة القبلة إلى جهة الشمال، فأخرجوه من قبره ليشاهده الناس،ثمّ بدا لهم أن يحرقوه فأحرقوه بالنار، واعادوه في قبره، وردوا عليه التراب وانصرفوا.

٢٠٣. ولا نعلق على تلك الخرافة بل نحيل التعليق إلى وجدان القارئ الكريم.

204.

٢٠٥. ١. مصباح الظلام: ٥٧/٢، الحديث ٣٦٢.

٢. ابن منير هو أبن الحسين مهذب الدين أحمد بن منير الطرابلسي (٤٧٣ ـ ٥٤٨) من أئمّة الأدب وفي الطبقة العليا من صاغة القريض، له قصيدة في الغدير المعروفة بالتترية مطلعها:
عذبت طرفي السهر واذبت قلبي بالفكر